هكـذا، في سنـة ١٩٢٨، في قرى فلسـطين العـربيـة، كان ٥٦ بالمئة من الارض مشاعاً، وانخفضت هذه النسبة في سنة ١٩٢٩ الى ٤٦ بالمئة. وتخطط الحكومة لتحويل كل الارض المشاع، في آخر العقد الجاري، الى مفروزة، اي تقسيمها. ولكن هذا التقسيم في اماكن كثيرة ما هو سوى تمـويه لمصادرة أرض الفلاح من قبل ملاك الارض. ففي الظروف الحاضرة، الدخل المتأتي من الأرض في شكل خمس يناله الفلاح ليس هاماً لملاك الارض بقدر ما هي هامة امكانية بيع الارض، او تحويلها الى مزرعة حديثة؛ ومعالجة أمر فلاحين منفردين أسهل بكثير من الاتفاق مع جماعة بأسرها.

«... وفي هذا المضمار، يلفت الانتباه [الى] ان البريطانيين اضطروا في العام ١٩٣٠، تحت ضغـط الحركة الزراعية، الى اصدار قانون يحد من بيع الارض للصهيونيين. ولكن المـلاكـين العرب تحايلوا على القانون وتخطوا المنع وباعوا الارض. ان جريدة ' فلسطين' الصـادرة بالانكليزية لفتت الانتباه، في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٠، الى حقيقـة بالغة الاهمية، وهي ان الملاكين العرب بعد صدور ' الكتاب الابيض لـ [عام] ١٩٣٠ '، وجدوا ان هناك، من وجهة النظر البريطانية، ثغرة في التحريم الوهمي لبيع الأراضي التي يسكنها الفلاحون العرب، فأخذوا يخرجون الفلاحين الفقراء من الأرض سلفاً، بحيث تظهر الارض، في وقت البيع، خالية، وبذلك يكون نقلها الى الصهيونيين ممكناً.

« (ج) نزع الملكية من قبل الصهيونيين:

«حسب الاحصاءات التي يعرضها ل. فرح، وهو عالم زراعي عربي، تم طرد ٨٧٢٠ فلاحاً في سهل واحد من شمال البلاد. واذا اضفنا الى ذلك نزع الملكية الحاصل في العام الماضي، في مناطق أخرى، فان عدد الفلاحين الذين اخرجهم الصهيونيون يزيد على ٢٠ الفاً.

«ان الحملة الصهيونية تتميز عن الحكومة والاسياد الاقطاعيين أيضاً في كونها تحرم الفـلاح من اية فرصة للحصول على عمل، وهي بذلك تحول الفلاحين منزوعي الملكية الى ' جيش احتياطي ' فائض عن العمل، الى جيش من العاطلين عن العمل، المشردين.

« (د) نزع الملكية من قبل جمعيات دينية ورأسمالية متنوعة: لا يجوز ان ننسى نشاط جمعيـات المبشرين المتنـوعـة (البـريطانية والفرنسية والاميركية)، ونشاط الرأسماليين من مختلف القوميات الذين يشترون الأرض، وفي كثير من الأحيان يستخدمون البورجوازيين الكومبرادوريين العرب (في الغالب المسيحيين) كواجهة، أو ستار...».

١٠

ان الفكر العلمي الذي تبنى عليه الوثائق المذكورة له اهمية عظمى في تسجيل ملامح تلك المرحلة (مرحلة العشرينات) في فلسطين خصوصاً، وفي المنطقة العربية بشكل عام. لكن لماذا لم يستقطب الفكر العلمي هذا قوة اجتماعية كافية لمواجهة الغزو الامبريالي ـ الصهيوني والامبريالي ـ الرجعي؟

لان الفكر وحده لا يكفي للاستقطاب. وهنا تكمن النقطة الأساسية في الكفاح الثوري. ان الصراعات الاجتماعية والسياسية ليست، في جوهرها، صراعات فكرية، وانما الافكار هي انعكاسات تاريخية لها على صفحة الوعي الانساني. الوعي السابق للصراع يدخل فيه بشكل معقد، ويؤثر، طبعاً، في جميع مراحل الصراع، ولكنه لا يدخل بشكل منفصل، وبشكل يمكن